

اقرأ رومية 14

اختلاف الضمان

عندما يحدثنا بولس الرسول عن كيفية سلوك المسيحي في المجتمع، فإنه يقتبس الكثير من الوصايا العشر. والوصايا العشر تعلمنا أن هناك أشياء معينة هي خطأ في ذاتها ولذاتها، ولا يحق لأحد أن يعمل أيًا منها في أي وقت. إنها خطأ دائماً، كما أنها خطأ لجميع الناس. هذه الأشياء لا تسبب أي مشكلة بالنسبة للمؤمن، من حيث تقدير ما هو حق وما هو خطأ. كل ما تحرمه كلمة الله سواء بشكل مباشر أو بواسطة مبدأ واضح، لا يجوز عمله. ولا يوجد اختلاف بين المؤمنين في هذا الشأن؛ لأن الكتاب المقدس يعطي توجيهات واضحة.

لكن هناك أشياء عديدة لم تحرمها كلمة الله بصورة محددة، وهناك مجالات كاملة لا توجد توجيهات واضحة بشأنها؛ لهذا السبب، فإن بعض المؤمنين – الذين يعرفون الحرية التي لهم في المسيح – يفعلون الكثير من هذه الأمور غير المحرمة، بدون أي تأنيب للضمير. إن الكتاب المقدس يدعو مثل هؤلاء بـ "الأقوياء". أما المؤمنون الآخرون – الذين لهم تصور أقل عن الحرية – فيشعرون أنهم لا يستطيعون فعل هذه الأشياء. إنهم يعتبرون أنه من الخطأ أن يفعلوا مثل هذه الأشياء. ويدعو الكتاب المقدس هؤلاء بـ "الضعفاء".

عندما يرى الأقوياء حيرة الضعفاء؛ فإنهم يقولون لهم ما معناه: "لا تكونوا سذج!" وعندما يرى الضعفاء الأقوياء يفعلون تلك الأمور – التي يعتبرونها خطأ – فإنهم غالباً ما يقولون لهم: "لا تكونوا عالميين".

المؤكد أن هاتين المجموعتين من المؤمنين ليس بينهما اختلاف على القضايا الأخلاقية؛ فالمؤمنون متحدون في هذه القضايا؛ لأن كلمة الله تعطي بشأنها توجيهات واضحة. الاختلافات تظهر في الأمور غير المحرمة، بسبب الاختلاف في الضمير بين المؤمنين. مثلاً يشرب بعض المسيحيين الكحوليات دون أي تأنيب للضمير؛ بينما البعض الآخر يعتبر أنه سيرتكب إثماً إذا شرب. وهناك اختلاف في بعض الأمور كمشاهدة التلفاز، والذهاب إلى السينما والمسرح، أو حضور مباريات كرة القدم أو مجازاة الموضة في الملابس، فالأقوياء يحاولون أن يبرهنوا على أنه لا يوجد شيء من هذه الأشياء شر في ذاته، وأن المؤمن حر في أن يتمتع بها، بينما يشعر الضعفاء بالدنس وتبكيث الضمير، إذا اشتركوا في مثل هذه الأمور.

والكنيسة الأولى كان بها اختلافات في الضمانر أيضاً لكن في مجالات مختلفة: مثلاً – اللحوم التي كانت تقدم للأوثان؛ كانت تباع للناس بعد ذلك في السوق. بعض المؤمنين جادلوا بأنه بسبب أن هذه اللحوم كانت جيدة، بل وكانت في بعض الأحيان أفضل من اللحوم الأخرى، فلا مانع من شرائها والتمتع بها. البعض الآخر لم ينس أن هذه اللحوم كانت ترمز إلى العبادة الوثنية، التي كانوا يعلمون أنها شيطانية. هذا الارتباط الموجود في أذهانهم أزعجهم، وشعروا أنهم لا يمكن أن يأكلوا مثل هذه اللحوم بضمير صالح، واعتبروا أنهم سوف يتنجسون من هذه اللحوم، وبمعنى آخر أنها سوف تربطهم بالطقوس الوثنية التي استخدمت هذه اللحوم فيها. لذلك كان هناك خلاف حاد بين الإخوة والأخوات في المسيح بشأن ما يمكن أن يؤكل وما لا يؤكل.

بنفس الطريقة كانت هناك اختلافات متعلقة بحفظ الأعياد الدينية. كان اليوم الأول من الأسبوع هو يوم الرب، وكان يحفظه كل المؤمنين على حد سواء. "الأقوياء" لم يحفظوا أي أيام أخرى خاصة على الإطلاق، وقد تعاملوا مع يوم السبت – الذي كان الكثيرون يقدسونه – مثل أي يوم آخر، وعملوا نفس الشيء مع عيد الفصح والأعياد الأخرى؛ لكن "الضعفاء" لم يشعروا بالحرية إلى هذا الحد، ففكرة التعامل مع يوم

السبت كأى يوم آخر، سببت للضعفاء مشاكل عميقة. لقد حفظوا السبت من قبل كيوم راحة، لكنهم الآن لا يستطيعون أن يتعاملوا معه مثل أى يوم آخر بضمير نقي. وهكذا كانت هناك اختلافات كبيرة بين المؤمنين الأوائل، من حيث الأيام التي تعتبر خاصة وتلك التي تعتبر عادية.

وفي الأصحاح الرابع عشر، يناقش بولس الرسول قضية اختلاف الضمائر، ويكشف عن السلوك الذي يتوقعه الله من المؤمنين تجاه رفقاتهم المؤمنين الذين لا يتفقون معهم في هذه المجالات. إنه يبدأ الأصحاح بمعالجة مبادئ الحرية المسيحية، ويوجه الرسول تعليقاته للمؤمنين الأقوياء بصفة خاصة، بالرغم من أنها تمس الطرفين. عندما اختلف مع أخي على أمر ضميري، كيف أتعامل معه؟

القواعد الأربع

للإجابة على هذا؛ يضع بولس الرسول أربع قواعد:

القاعدة الأولى في العدد الأول، ويمكن أن نلخصها في كلمة *اقبل*.

عدد 1: "قد يكون أخوك في المسيح ضعيفا، ولكنه هو أخوك. إنكما واحد في الإيمان، ومتفقان في أساسيات الخلاص. اقبله كنظير لك، ولا تسقط في فخ التنكر له. قدّم له المودة دون تحفظ، واطلبه كما هو. لا يجب أن يكون لديك أي دافع خفي كالرغبة في عرض الاختلافات، أو كسب الجولة في الجدل. لا تجعل قبولك له فرصة، تحاول من خلالها أن تربحه إلى وجهة نظرك."

القاعدة الثانية يمكن أن تُلخّص في *لا تحتقره*. وهذا هو الشيء الذي يميل المؤمن القوي إلى أن يفعله. إنه يميل إلى الازدراء برفيقه المؤمن الذي تتنابه حيرة، يعتبرها

المؤمن القوي أنها بلا مبرر. إنه مجرّب بأن يعتبره مؤمناً أقل درجة منه. هذا النوع من التفكير لا يجب تشجيعه.

عدد2 – 3أ: "واحد منكم يرى أن يأكل أي شيء يريد، لكن رفيقاً مؤمناً له ضمير ضعيف، يمكن أن يشعر أنه يجب أن يكون نباتياً؛ فلا يجب أن يزدري الأول بالثاني، ويعتبر أنه أدنى منه، أو أقل شأناً منه."

القاعدة الثالثة هي لا تدين، وهي تجربة تخص المؤمن الضعيف. إنه يحكم على أولئك الذين يتمتعون بما يمكن أن يؤدي ضميره؛ لذا فهو يميل إلى إدانتهم، ويشك بقوة في إيمانهم.

عدد3 ب – 4: "الشخص الذي تملأه الشكوك يجب أن يحرص على ألا يدين الشخص الذي لا يشاركه هذه الشكوك. عليه أن يتذكر أن الله قد قبل ذلك الشخص وأن الله يعتبره خادماً له، وهو مسئول أمام الله فقط، وليس أمام أي شخص آخر. من أنت حتى تتصرف كما لو كان خادم غيرك مسئول أمامك أيضاً؟ أما من حيث ثباته، فثق أن الله قادر على أن يثبتته. كُف عن القيام بدور السيد لذلك الشخص، واحرص على ألا يكون موقفك أقل قبولاً من موقف الله له."

القاعدة الرابعة هي أن كل واحد يجب أن يكون متيقناً في عقله.

عدد5: "هناك من يعتبر يوماً أكثر أهمية من باقي الأيام، وهناك من يتعامل مع كل الأيام على قدم المساواة. بدلاً من التدخل في أمور الآخرين؛ تأكد من أن ما تفعله يتم بضمير نقي."

بهذه الطريقة يشجعنا بولس الرسول أن نحيا حياتنا، بالشكل الذي يحتمل امتحان الله. علينا أن نحيا لكي نرضي الله، لا أن يحدد سلوكنا ما نتخيله آراء الآخرين. ولا يزال بولس الرسول يطبق المبادئ التي في الأصحاح 12: 1، 2 حيث يُظهر في تعبيرات عملية، ما الذي يمكن أن يعنيه أن تكون ذبيحة حيّة. إن حاجتنا هي أن ننشغل بفحص أنفسنا، لنرى كم نحن بعيدون عن طاعة المبادئ التي أعلنها الرسول بولس.

ثلاثة أسباب

يعطينا بولس الرسول ثلاثة أسباب لضرورة تبني هذا النوع من التصرف تجاه الأخ الذي يختلف عنا.

السبب الأول قد أوضحه في العدد الثالث، وهذا السبب هو "لأن الله قبله". هل أنا أعظم من الله؟ إن كان الله قد قبل الشخص الذي اختلف معه؛ فمن أنا حتى أفعل عكس ذلك؟ يجب ألا يفكر الأقوياء بأن الله يمكن أن يتمجد من خلال تنكرهم لأولئك الذين قبلهم، والضعفاء لا يجب أن يظنوا أنهم يمجدون الله، من خلال تضخيم تزمّت الله بغيره لن يوافق الله عليها.

السبب الثاني هو أنه يجب أن يتصرف من منطلق تقديره لله. وهذه النقطة موضحة في الأعداد 6 – 9.

عدد 6: "لماذا يحفظ أحد المؤمنين أياماً معينة بشكل خاص، بينما مؤمن آخر لا يفعل هكذا؟ لماذا يأكل الواحد أي شيء ويشكر الله، بينما يتجنب الآخر أطعمة معينة، ومع ذلك يشكر الله؟ والإجابة في كل الحالات هي لإرضاء الرب."

إننا لا نستطيع أن ننتقد شخصاً، يعمل كل شيء في حياته بهدف إرضاء الرب، ولا يمكن أن نحقره بأي حال من الأحوال. كيف يمكن أن نزدري بأولئك الذين يعيشون حياتهم في خوف الله؟

عدد7 - 9: "لا أحد منا - نحن المؤمنين - يعيش لذاته أو يموت لذاته. إن هدفنا الوحيد من الحياة أو الموت هو أن نرضي الرب. كل ما نفعله هو من أجل الرب. لقد كان السبب الذي من أجله مات المسيح وقام هو أن يثبت هذه السيادة على شعبه."

وعند ذكر الحقوق المطلقة للمسيح؛ فإن هذا يقودنا إلى السبب الثالث للسلوك الذي أمر به الرسول بولس. لقد لمس في العدد الرابع، والآن يعود إليه ثانية في الأعداد 10 - 12. إن أخاك هو عبد للمسيح، وهو مسئول أمام المسيح فقط.

عدد10 - 12: "كيف يمكن أن تقيم من نفسك دياناً على أخيك، وكيف تحكم أن أخاك يجب أن يعامل باحتقار؟ الحقيقة هي أننا سوف نقف - ليس أمام بعضنا البعض - بل أمام كرسي دينونة الله. إنه وحده الذي سيحاسبنا بحسب وعود الله في العهد القديم في إش45: 23. كل واحد منا سوف يُعطي حساباً عن نفسه إلى الله مباشرة."

وفي مجال الضمير، ليس هناك مؤمن مسئولاً أمام آخر. إذا كسر أحد ناموس الله الأخلاقي؛ فإن الكنيسة المحلية مسئولة عن تنفيذ التأديب من خلال النصح أو تعليق العضوية أو الحرمان، كما يوصينا العهد الجديد. لكن سلطان العمل في ذلك المجال لا يجب أن يطبق في الأمر الذي نناقشه الآن. إن أقصى ما يمكن عمله هنا هو أن نذكر بعضنا البعض، أن كل واحد مسئول بصفة شخصية أمام سيدنا، وأنا سُدعى لتقديم حساب له في النهاية. إننا نحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يذكروننا لنحفظ ضمائرنا نقية، ويساعدوننا أن نكون مستعدين للقاء الله. لكن ليس هناك حالات يمكن أن أفرض فيها

ضميري على الآخر، ولا أنا يفرض هو ضميره عليّ. المسيح وحده هو رب الضمير، وكل واحد منا يثبّت أو يسقط فإنما هو لسيدته.

هذا معناه أن الحرية المسيحية يجب أن تقيّم ويجب أن تُحفظ، وتجاهل أو إهمال تعليم بولس الرسول هذا سبّب أن الكثيرين من المؤمنين قيّدت حريتهم بواسطة الآخرين. ومع ذلك؛ فأنا أحتاج أحيانا إلى قيود اختيارية، أفرسها على حريتي في سبيل المحبة المسيحية.

كلمة للأقوياء

هناك شيء يجب أن يلاحظه أولئك الذين يتمتعون بحريتهم. إن الطاقات الموجودة لدى القوي، لا يجب أن تُبدد في الإشارة إلى حماقة وتفاهة شكوك الضعيف. يجب أن يهتم الأقوياء بأمور أكبر من المحافظة على حريتهم. يجب أن تكون رغبتهم الملحة هي عدم إعاقة التقدم الروحي لإخوتهم المؤمنين (الضعفاء).

عدد13: "لذلك دعونا ألا نحاكم أو ننتقد بعضنا البعض فيما بعد، لكن عوضاً عن ذلك؛ دعونا نهيب عقولنا بالأنا نضع أي عقبة أو حجر عثرة في طريق أخ لنا."

عدد21: "حسنٌ أن تمتنع عن أكل اللحم، أو شرب الخمر، أو أي شيء يمكن أن يُعثر أخاك، أو يعوقه، أو يضعفه روحياً. إن بولس الرسول يصر على أن اهتمامي الأول يجب أن يكون خير أخي، وإذا أهملت هذا، فأني أتلف إيمان شخص مات المسيح من أجله؛ وبذلك لا يكون سلوكي بالمحبة."

عدد15: "لأنه إن كان أخوك يتأذى بسبب ما تأكله؛ فإنك لست تسلك في طريق المحبة بعد – لا تهلك بطعامك أخاً، مات المسيح من أجله."

عدد20: "لا تهدم عمل الله من أجل الطعام. كل الأشياء طاهرة، لكن عليك أن تفهم أنها يمكن أن تكون شرًا، للشخص الذي يتأذى ضميره من هذه الأشياء."

عدد20: "إذا كنت تشترك في مثل هذه الأمور دون أن يعثرك ضميرك، فطوباك، لكن لا تجعل ضميرك هو المبدأ الذي يجب على المؤمنين الآخرين أن يطبقوه. دع إيمانك يكون اقتناعك الشخصي أمام الله. طوبى للشخص الذين لا يدين نفسه في ما يستحسنه."

واضح أن بولس الرسول يريدنا أن نتمتع بحريتنا، لكنه لا يقصد بذلك أن نستعرضها، أو نفرضها على أولئك الذين يمكن أن تتأذى ضمائرهم إذا فعلوا مثل هذه الأشياء، التي نتمتع نحن بها. وعلى الجانب الآخر، فهو لا يُجيز لنا أن نتدمر أو نشتكى، إذا وضع ضعف أختنا ضوابط لحريرتنا.

عدد16 – 19: "إذا بدأنا نستمتع بما يتأذى به أخونا؛ فإن ما نفعه لا يدعو عن أن يكون شرًا. ليس هذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه، فهناك الكثير من الأمور في الحياة المسيحية أهم من الأكل والشرب؛ فهذه ليست الأشياء التي تهتم. إن أي نوع من الطعام أو الشراب هو في الواقع مثل الآخر. المهم في الواقع هو البر والسلام والفرح في الروح القدس. إذا كان عندنا هذه؛ فإننا نمتلك أهم الأشياء، ولا يجب أن ننن إذا لزم أن نعيش بدون أشياء، هي ليست لها أهمية حقيقية. فتش عن الضوابط التي يمكن أن تضعها لحريرتك، وانظر إليها كشيء تفعله من أجل المسيح. اخدمه بهذه الطريقة، وسوف تكون خدمتك مقبولة أمام الله، وممدوحة من الناس. على الرغم من أن حريرتك امتياز ثمين من امتيازات الإنجيل، فإنها ليست أمرًا عليك أن تحفظه مهما كلف الأمر. إن ما يجب أن تحافظ عليه هو سلام الكنيسة ونموها الروحي. لنسعى في الأمور التي تقود إلى السلام، وإلى بناء بعضنا بعضًا."

كلمة للضعفاء

معظم ما قد قيل حتى الآن، كان موجهاً إلى أولئك الذين يتمتعون بحريتهم، أما الضعفاء – الذين لهم ضمير مفرط الحساسية – فهؤلاء أيضاً يخاطبهم الرسول بولس.

عدد14: "أنا عالم ومتأكد في الرب يسوع، أن ليس شيء نجساً في ذاته. إنه من الحرية المسيحية أن نفعل تلك الأمور التي ناقشناها، والتي يعتبرها البعض موضع شك. إن النقطة التي نحتاج أن نركز عليها هي أن كل من يعتبر شيئاً ما نجساً أو كريهاً أو غير طاهر، فإن هذا الشيء يكون بالنسبة له هكذا. فالشيء ليس نجساً في ذاته، لكنك أنت تعتبره مشكوك فيه من الناحية الأخلاقية، فإذا فعلته، تكون قد فعلت شيئاً مشكوكاً فيه أخلاقياً."

عدد20ب: "كل الأشياء هي طاهرة بالتأكيد، لكن يجب أن تفهم أنها شر بالنسبة للشخص الذي يتأذى ضميره بها."

عدد23: "إذا كنت ترعى شكوكاً وأنت تفعلها، فإنك مُدانٌ. مثل هذا العمل لا ينبع من الإيمان ولا يرضي الله، إذا فهو خطية."

يجب أن تحترس من أن تقيس الخطية ببساطة بحسب الأفعال الظاهرة. الفعل المشروع تماماً، إذا عُمل بدافع خاطئ؛ فهو خطية. العمل المسموح به بحسب ناموس الله، يُدان من الله على الرغم من ذلك، إذا كان الدافع ليس مجد الله، وإذا كان روح العمل ليس من الإيمان. لا ينبغي على المؤمن أن يباشر أي عمل، إذا كان هذا العمل ينشئ أي شك أو وحز للضمير أو تحقُّظ أو ريبة أو تردد. لا يجب أن يخالف ضميره تحت أي ظروف، مهما كانت ضامائر الآخرين. ولا يجب على المؤمن أن يفكر أنه

خاسر بأي شكل من الأشكال؛ لمجرد أنه لم يستطع أن يشترك فيما يتمتع به المؤمنون الآخرون. إن متعته بفوائد ملكوت الله، لا يمكن أن تلازم شكوك ضميره. مادام لديه البر والسلام والفرح في الروح القدس، فإنه يملك الأهم.

ما أعظم الحرية التي لنا! فكل الأشياء التي لم ينعها عنها الكتاب المقدس تحل لنا، وهذا ليس معناه أن كل الأشياء نافعة. كل الأشياء تحل لكن ليس كل الأشياء يمكن أن تبني شخصية مسيحية راسخة (انظر 1كو8: 1 – 13، 10: 19 – 33).

ما أعجب المحبة التي يجب أن نمارسها! يجب أن أكون مهتمًا بكل غيرة بكل ما هو لصالح أخي، ولنموه في النعمة. إن أهمية هذا الأمر بالنسبة لي يفوق بما لا يقاس التمتع بمواهب الله في هذا العالم. طالما أمتلك البركات الروحية الهامة، فلا يهمني كثيرًا إذا ما كنت أمتلك هذه الأشياء الأخرى أم لا.

لقد أصاب لوثر كثيرًا عندما قال عن الحرية المسيحية: "إن المؤمن هو أعظم سيد حر للكل، لا يخضع لأحد". وعن المحبة المسيحية قال: "الإنسان المؤمن هو أعظم خادم للكل، يخضع للكل". إن التوازن بين هذين المبدأين هو إرادة الله لنا في المجالات التي تختلف فيها ضمائر المؤمنين.

اقرأ رومية 15: 1 – 13

الأخوة الحقيقية

من المهم أن يظل تعليم الأصحاب السابق في أذهاننا ونحن ندرس هذا الجزء؛ لأنه في الواقع استمرار لنفس الموضوع، فلا يزال الرسول بولس يرينا كيف يتعامل المؤمنون الرفقاء مع بعضهم البعض، وتعليقاته تؤكد